# ذكريات وانطباعات عن كرد علي

الأستاذ تيسير ظبيان

من الأقوال المأثورة عن الزعيم الخالد ( سعد زغلول ) الذي كان يمثل الشخصية المصرية في أروع صورها قوله : « إنني رجل قد وضعت تحت تصرف أمتي عقلي واختباري وبياني ، فإن استفادت الأمة من عملي فذاك ما يجعلني سعيداً ، وإلا فهو واجب قد أخذته على نفسي وأنا أقوم به لأريح ضميري » .

وهذا القول يكاد ينطبق إلى حد بعيد على علامتنا فقيد العلم والأدب والثقافة والعرفان المرحوم **محمد كرد علي** الذي كان يمثل الشخصية السورية في أبهى مظاهرها . ولقد أفادت الأمة من عقله واختباره وبيانه كما أفاد الشعب المصري من عقل واختبار وبيان زعيمه الراحل المرحوم **سعد زغلول** .

ويطيب لي أن أذكر بأنني تعرفت على علامة الشام منذ نعومة أظفاري ، وكان يحنني على التردد عليه والدي ، الذي كانت تربطه به



هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

علاقات وروابط وثيقة العرى ، فقد كانا يعملان في حقل سياسي واحد أيام العهد العثماني ، كما كانا من أوائل المنتظمين في حقله مربي ذلك الجيل المرحوم **الشيخ طاهر الجزائري** ، فكنت أزوره في مكتبه بين الفينة والفينة ، وكنت أنعم بأحاديثه ، وأغرف من معين فضله ، وأصيخ السمع بشغف إلى توجيهاته ، فكانت صلتي به صلة التلميذ بأستاذه ، والمريد بشيخه . وكنت أشعر وأنا في مجلسه بأنني حيال بطل عملاق : قوي الشكيمة ، حاد النظرات ، متقد الذكاء ، واسع الاطلاع ، طلق المحيا واللسان ، حاضر الذهن ، سريع البديهة ، عذب الحديث ، ولا يكاد يخلو حديثه من دعابة مستملحة ، أو نكتة مستظرفة ، بالإضافة إلى مايتحفك به من آراء سديدة وتعليقات هادفة في مختلف المجالات ، وما يرويه لك من قصص ومغامرات وقعت معه في شتى أدوار حياته .

ومن أبرز ما أثار إعجابي في مزاياه عطفه على الشباب وتقديره لمواهبهم ، وحثهم على اقتحام معارك الحياة وارتقاء معارج التقدم ، والثبات على المبدأ ، واحترام النظام ، والجرأة في قول الحق ، والعمل الدؤوب حتى إنه سنّ سنّة لم يسبقه إليها أحد من قادة الرأي في العالم العربي وهي إقامة الحفلات لتكريم أصحاب المواهب منهم ، وقد أقام بالفعل حفلاً تكريمياً في دار المجمع لأربعة من الشعراء الناشئين وهم : جميل سلطان ، ونور العطار ، وزكي المحاسني ، وعبد الكريم الكرمي .

وإني لأهتبل هذه السانحة لأروي لكم ثلاثة من مواقفه المجيدة وهي تنم عن شغفه بحب بلاده ، وتراث وطنه ، ورغبته في تقصّي الحقائق

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والمعلومات التاريخية أينما كانت وبأية وسيلة كانت ، كما تنم عن حدبه على الشباب وتشجيعه لهم :

● **الموقف الأول :**

في عام ١٩٢٤ كنت أعمل مدرساً في إحدى مدارس مدينة ( ابن الوليد ) وكانت معرفتي بالفقيد حديثة العهد ، فبعث إليّ برسالة يطلب فيها أن أتوجه إلى إحدى القرى المجاورة لمدينة « حمص » للتحري عن بعض النواويس التي قيل إنه عثر عليها في تلك القرية ، وإليكم نص هـــذه الرسالة التي ما زلت أحتفظ بها :

**المجمع العلمي العربي في دمشق**

حضرة الأستاذ السيد تيسير ظبيان من أساتذة المدرسة التجهيزية بحمص المحترم .

وردنا كتاب من سعادة رئيس المعارف بدمشق مفاده أنه عثر على قبرين من فخار في كهف مجاور لقرية فيروزة فأخذا ووضعا في مدرسة فيروزة ، فالمرجو أن تذهبوا إلى تلك القرية وتشاهدوا القبرين وتصفوهما لنا وتخبرونا هل يستحقان النقل إلى متحف دمشق ، وهل يمكن نقلهما بسهولة وبأية واسطة ، وكم يلزمهما من النفقة حتى إذا رأينا أنهما جديران بالنقل وأن نقلهما سهل والنفقة ليست كثيرة بادرنا إلى اتخاذ الوسائل الكافلة بإتمام العمل . وربما كلفناكم ذلك وبعثنا إليكم بالدراهم اللازمة ، فأجيبونا سريعاً ولكم الفضل .

٢١ شوال ٣٤٢ و ٢٥ أيار ٩٢٤

رئيس المجمع العلمي ( محمد كرد علي )

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

● **الموقف الثاني :**

التمست منه ذات مرة أن يزودني بكلمة من صوغ يراعه لأضعها في كتاب أعددته باسم ( الفردوس ) ، جمعت فيه خير ما جادت به قرائح الفحول من كتابنا وشعرائنا في القرن العشرين فابتسم ( رحمه الله ) وقال : ( حبذا الكتاب ، وحبذا اسم الكتاب ) ثم فكر ملياً وأطرق برأسه المزدان بإكليل من النور وقال : ( وهل ثمة باقة يمكن أن يعبق أريجها ويفوح شذاها في فردوسك أزكى من أريج الغوطة ؟ ) قلت : وماذا تعني ياسيدي ؟ فمد يده إلى درج مكتبه وأخرج مقالاً رائعاً كان قد كتبه عن غوطة دمشق حين غادر الفيحاء في إحدى المناسبات ، وقد تغنى فيه بجمال الغوطة وبسطها السندسية وأدواحها الجنية وتربتها الغنية ، كما أشاد بذكر الفيحاء وما تمتاز به من سحر وجمال .

● **الموقف الثالث :**

استدعاني إلى مكتبه في يوم من أيام صيف عام ١٩٢٥ وكنت أعمل محرراً في صحيفة ( ألف باء ) وقال : ألم تتلقَ دعوة المجمع لحضور الحفلة التي سنقيمها بعد هنيهة لتكريم أمير الشعراء ( أحمد شوقي ) لكي تغطي وقائعها في ( ألف باء ) ؟ قلت : بلى يا سيدي وكنت في طريقي إليكم ... قال : ولكنني دعوتك لأمر آخر ، فقد وقع اختيارنا عليك لتلقي في الحفلة قصيدة الأستاذ خليل مردم بك ( وكان من عادته أن لا يلقي قصائده بنفسه بل يعهد بإلقائها إلى الآخرين ) ثم دفع إليّ القصيدة وكانت قصيدة غامرة ولكنها مكتوبة بخط مضطرب وطويلة جداً . قلت : هذا يا سيدي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

شرف عظيم لا يدانيه شرف فأشكركم على ثقتكم الغالية ، ولكن الوقت ضيق ، والقصيدة كما تلاحظون طويلة فأحتاج إلى بعض الوقت لمراجعتها وتفحّص ألفاظها ، فالوقت ضيق والموقف رهيب أخشى أن لا يواتيني الحظ لأداء هذا الواجب فأتعثر في إلقائها . فأجابني وهو يداعب بأصابعه سلسالاً كان كثيراً ما يعبث به :

« في مثل هذه الظروف الدقيقة يجب أن تبرزوا مواهبكم معشر الشباب ، فلا بد من أن تلقي القصيدة مهما كلفك الأمر من جهد وعناء فتوكل على الله » . وقبل أن ينجز حديثه فوجئنا بحضور المحتفى به ، فخفّ رحمه الله لاستقباله وتركني في مكتبه أضرب أخماساً لأسداس ، بيد أن كلماته المشجعة ظلت ترن في أذني وتهز مشاعري وتفعل بها فعل السحر ، فعكفت على تلاوة القصيدة مرة واحدة استطعت في غضونها أن أتبين كلماتها وقد وفقني الله لإلقائها بيسر وسهولة . ومما يجدر ذكره بهذه المناسبة أن مدينة الفيحاء نالت أرفع وسام من أمير الشعراء في هذا الحفل ، فقد خلد ذكرها في قصيدته التاريخية البليغة وتغنى بأمجادها واستفزّ صناديدها ، فلبت نداءه ووثبت وثبتها ، وصرخت صرختها ، وأضرمت ثورتها في وجه الاستعمار والمستعمرين ، وكلكم تعرفون هذه القصيدة الخالدة التي استهلها أمير الشعراء بقوله :

قُمْ ناجِ جلقَ والنشد رسمَ من بانوا مشى على الرسم أحداث وأزمان

رحمك الله يا علامة الشام . فقد كنت عظيماً في علمك ، عظيماً في خُلقك ، عظيماً في أدبك ، عظيماً في بيانك ، عظيماً في تفكيرك ، عظيماً في إحياء تراث أجدادك وخدمة بلادك ، عظيماً فيما أخرجته لنا من ثروات

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

علميـــة وكنوز أدبية ، وما فجرته في عالم العروبـــة من ينابيع الثقافة والعرفان .

أيها الســـادة :

بعد كتابة الكلمة وإرسالها إلى اللجنة القائمة باحياء هذه الذكرى مشكورة ، عثرت بين أوراقي القديمة على ديوان مخطوط لأحد شعرائنا الملهمين ، وقد أكل الدهر عليه ولم يشرب ، وأبقت عليه يد الحدثان فلم يذهب ، فقد أورد هذا الشاعر في ديوانه المذكور نبذة أدبية طريفة وقصة تاريخية ممتعة ، أبطالها أربعة من المفكرين أحدهم فقيدنا الكبير ( محمد كرد علي ) ، وقد رأيت من واجبي إضافتها إلى هذه الكلمة . ومن دواعي الأسى أن يتنكر الآباء والأجداد لذلك الشاعر المغمور ، ويتجاهله الأبناء والأحفاد ، فقد قضى نحبه في دمشق أيام العهد الفيصلي وهو لا يزال في ربيع العمر ونضارة الشباب ، شأنه في ذلك شأن أبي القاسم الشابي ، ويكاد يحاكيه في نشأته وفي نزعته وفي دقة شعوره ، ولنا وطيد الأمل بأن مجمعنا الكريم سيمد إلى إحياء ذكرى هذا الشاعر الشاب المبدع ( عجاج الهياني ) كما أحيا القطر التونسي الشقيق معالم شاعره الفذ . وكان الهياني أحد رفاقنا في كلية صلاح الدين الأيوبي التي أنشئت إبان الحرب العالمية الأولى في بيت المقدس ، ويسعدني أن أرى في هذا الحفل اثنين من زملائي القدامى في تلك الكلية وهما الدكتور كامل عياد ، والأستاذ جميل قربي .

واليكم خلاصة هـــذه القصة الطريفة كما سجلها الأستاذ الهياني في ديوانه . قال :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

« كنا أربعة في القطار : أحد البكباشية الأتراك ، ومحمد أفندي كرد علي ، وخير الدين أفندي الزركلي وأنا . وكرد علي كاتب سورية الاجتماعي والبحاثة الكبير . وأما الزركلي فشاعر الشبيبة في دمشق ولا أعرف من شيوخها من يجعله تحت ظله أو يماشيه ويجاريه فيبذه .

تعارفنا في القطار ، فسرّ كرد علي بهذا التعارف ، وكان سرور الزركلي أكثر . وكنت أعرفهما ولا يعرفانني . وملنا إلى بعضنا كل الميل . وأخذنا نتجاذب أطراف الأحاديث ، ونتلو من أشعار الشعراء بين قديم وحديث .

ووقف القطار بنا في موقف الزبداني فهوينا نتمشى ، وهناك البائعات يصحن ( يالله عالتفاح ) وآخرون من الصبية يدورون حاملين الخبز واللبن .

بين تلك البائعات فتاة في ريعان العمر ، في لباس القرويات ، ذات جمال باهر ، وطرف ساحر . نظرنا إليها مثبتين النظر فضرج خديها الحياء ، ومالت عنا بجيد أدماء . صعدنا إلى القطار وقد آن أن يتزحزح فأخذنا ننظر إليها من النوافذ . وبينما نحن كذلك إذا بالدم يسيل من أنفي ، فمال خير الدين إلى مقعده وأخذ القلم وكتب عفو الساعة :

سفرت تخجل المها والظباء ... فرنونا نغازل الحسناء
غادة تشبه الهلال محيا ... وبهاء ورونقاً وصفاء
كونت حسنها الطبيعة فتنا ... ناً كما كوّن الجمال ذكاء
هي كالظبي في النفار ولكن ... هي فاقته مقلة كحلاء
شعرت أننا نطيل إليها ... نظرات الهوى فصدت حياء
سحب العاشق المحب دماه ... مستعيضاً عن الدموع الدماء

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ليس للحب رأفة بالمحبين فصبراً على الهـــوى وعناء
أنا أسلمت للغرام فؤادي صانعاً في حشاشتي ما شاء

وقدم شعره هذا إلي فأخذت دفتره وكتبت عفو الساعة :

لا تلمني إذا شكوت فإني مغرم لما بكيت اشتكاء
قد أسالت دمي بلحظ وأودت بفؤادي وعذبتي جفاء
ذات حسن لو أسفرت في دجى الليـ ـل لحال الظلام منه ضياء
غادة قد منحتها حبة القلـ ـب وداداً تصونهـــا وصفاء
فتوات بها وضنت علينا بوداع لو كان كان شفاء
قال لي صاحبي أتعشق والعشـ ـق عذاب يجده في القلب داء !
قلت دعني فإنما الحب شأني ولئن كان شقوة وعناء
حب غيري يريق دمع ذويه وغرامي يريق مني الدماء

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net